

تاريخ الدولة الكوشية (نباة - مروي)

أستاذ مشارك - جامعة بخت الرضا

د. صديق مهدي عبد الرحمن

المستخلاص:

هدفت الدراسة إلى التوثيق بشكل علمي لتاريخ الدولة الكوشية ومعرفة الدراسات الحديثة وما أضافته لتاريخ تلك الفترة. كما تكمن أهمية الدراسة في تسليط الضوء على تاريخ كوش بشقيه النبتي والمروي. سوف تتبع هذه الدراسة منهج البحث التاريخي التحليلي بكافة أساليبه من وصف وتحليل ومقارنة ونقد واستنتاج وفقاً للحاجة التي تقضي بها الدراسة. أهم النتائج تتمثل في أن الدين لعب دوراً مهماً في تأسيس وتوسيع الدولة الكوشية. الأصل المحلي ملوك كوش . مكانة الكنداكات في الدولة الكوشية وتأثيرها في النظمين الديني والسياسي. التأثير المحلي لدولة كوش في الفترة المروية واختراع الكتابة.

Abstract:

The study aimed at documenting scientifically, the kushian history and knowing the current studies contributions additions to the history of that era the study also aimed at shedding light on the two parts of kushian history ;marawy and nepta the study followed the historical research method using all its types like Description , criticism and Dedication according to the needs of the study .Results showed that religion payed significant role in the foundation of the kushian

kingdom and its prevalence، the original source of the kushian kings ، the status of the(kandakat) in the kushian state ، and their effect on the religious and political systems .the kushian local effect on the marawian era and invention of the writing system.

المقدمة :

تعتبر الحضارة الكوشية من أهم الفترات التاريخية المميزة في السودان . حيث استطاع إنسان تلك الفترة بناءً أعظم وأضخم المعابد والأهرامات. ولعب الدين فيها دوراً بارزاً في الحياة العامة وبشكل خاص في النظام السياسي وبرز فيها أفضل الملوك والملكات في التاريخ . كما تميزوا بعلاقات وتجارة خارجية متميزة . وتلخص إنتاجهم الفكري في اختراع الكتابة المروية وتطوير فنونهم العامة . خاصة الرسم والنحت .

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة تسليط الضوء على الحضارة الكوشية في الفترة النبتية والمروية ومعرفة أهم المواقع الأثرية وإنجازات ملوكها وعلاقتهم الخارجية.

أهمية الدراسة :

تكمّن أهمية هذه الدراسة في الاطلاع والتعميق والتدقيق في التاريخ الكوشي وإثراء العمل الفكري فيه وعرضه للباحثين والمهتمين لتعلم الفائدة.

حدود الدراسة :

تناولت هذه الدراسة الحضارة الكوشية بشقيها النبتي والمروي(850 ق.م - 300 م) أما من الناحية المكانية فتشمل هذه الدراسة حدود الدولة الكوشية في تلك الفترة .

مشكلة الدراسة:

يمكن حصر مشكلة الدراسة في قلة العمل الآثاري في السوداني والوجود المتواضع للبعثات الخارجية. إضافة إلى قلة الدراسات المتخصصة في التاريخ الكوشي.

منهجية الدراسة:

سوف تتبع هذه الدراسة منهج البحث التاريخي بكافة أساليبه من وصف وتحليل ومقارنة ونقد واستنتاج. وفقاً للحاجة التي تقتضيها الدراسة.

هيكلة الدراسة:

1- حضارة نبطة.

2- حضارة مروي.

1-1 أصل ملوك نبطة.

1-2 الموضع الأثري

2-2 الاقتصاد المروي

3- المظاهر الحضارية

مملكة نبطة :

هناك كثير من الأسماء التي أطلقت على بلاد السودان قدماً وكانت هذه الأسماء وصفية دالة على مميزاته أشهرها بلاد التاتسي والتانحسي ولكن اشتهر اسم بلاد كوش وعرف به السودان عالمياً خاصة في فترتي نبطة ومروي .

نبته اسم قديم وأول ذكر له كان في زمن الدولة المصرية الوسطى حيث ظهر في نقش مكتوب باللغة الهيروغليفية يعرف الآن بنقش أو مسلة نوري، يتحدث هذا النقش والذي وجد في معبد الأقصر، عن المناجم التي استخرج منها الذهب، فجاء ذكر عدد من المناطق الجغرافية من بينها نبطة، وهي مدينة تقع في سفح جبل البركل⁽¹⁾ وصارت نبطة في فترات في زمن الدولة المصرية الحديثة ذات سمعة واسعة خاصة عندما أصبحت المقر والمركز الرئيسي لعبادة

الإله آمون، وهذا نلاحظه في نقش الملك امونحتوب الثاني. ولكن هذا الاسم نجده شمل مناطق كثيرة حوالي جبل البركل مثل الكرم ونوري وضم أبو دوم وتنقاسي والزومة وغيرها من المناطق واستمرت أهمية نبتة حتى بعد نهاية عهدها، حيث استمرت تحفظ بمكاناتها الدينية كمقر لعبادة الإله آمون، وكذلك مكانتها السياسية حيث تواصلت فيها ممارسة عادة تتويع الملوك. وكان الملوك يأتون إليها من العواصم الأخرى، بما فيها مروي لتسليم شارات الملك من كاهن آمون الأول المقيم بجبل البركل.⁽²⁾

وهكذا من الناحية التاريخية يمكن القول أن النبيين هم سكان إقليم نبتة بصفة عامة وتحديداً هم الأسرة التي أعطتنا حكام كوش في فترة سيادة نبتة.

لم يحدد بعد وبصفة قاطعة متى تأسست مملكة نبتة، ويعتبر الara الرعيم الأول المعروف لهذه الأسرة، والذي لم تعرف كيفية وصوله للحكم وفترة حكمه ومقرته.⁽³⁾ واستناداً على حقيقة زواج الأخوات في الأسرة الحاكمة والطاعة التي كان يهبها الara لآمون، فإنه من الممكن اعتبار أن مؤسس الأسرة الكوشية الحاكمة كان وريثاً منحدراً من حكام كوش القدماء وربما من حكام كرمة، وربما ضعف مركز هذا البيت نتيجة للاحتلال المصري في زمن الدولة الحديثة، وبعد غيابها ظهر من جديد وأعاد حكم أجداده، وربما يكون المؤسس هو الara نفسه، أو أي من أسلافه.

أعقبه على الحكم كاشتا - 806 ق.م وهو ملك في السلسلة المتوجة ملوك كوش الأقواء. وواصل في تدعيم أركان الحكم والإدارة وبدأ في عملية التوسيع شمالاً. وجدير بالذكر أن دولة نبتة لقيت الدعم المعنوي والروحي من كهنة الإله آمون الذين فروا من طيبة إلى كوش. وتمكن كاشتا من فرض سيطرته على أجزاء كبيرة من صعيد مصر بفضل مساعدة هؤلاء الكهنة.

اعتلى عرش كوش بعد الملك كاشتا الملك بيا 751-716 ق.م والذي واصل مشروع التوسيع حيث استولى على هيراكلوبوس بعد هزيمة الأمير المصري تفخت ووصلت الجيوش الكوشية زحفها شمالاً حتى مفيوس في الدلتا وبذلك استولى على مصر حتى البحر الأبيض المتوسط. ولقد ترك الملك بيا لوحة وجددت في نبتة وهي

الآن في متحف القاهرة معروفة بلوحة النصر، وتحمل هذه اللوحة واحداً من أطول النصوص وأكثرها تفصيلاً. إذ تحتوي على 159 سطراً من الكتابة الهيروغليفية يصف احتفالات الملك ومراحل حربه مع الليبيين الذين يسيطرون على الأجزاء الوسطى والشمالية من مصر. وعرف الملك بيا بأنه كان رحيمًا محباً للخييل، وقد غضب حينما وجد مجموعة من الخيول ميتة في اسطلاتها في هرموبوليس ولكنها صفح عن المهملين. ومن ناحية أخرى نجده يتحدث عن رفضه مقابلة ملوك الدلتا (الأنجاس) من أكلة لحوم الأسماك، وفي قمة الانتصارات يتراجع الملك بيا إلى بلاد كوش، كما نصب الملكة أميردس الأولى ابنة كاشتا، كاهنة منقطعة لعبادة آمون طيبة، وكذلك وجدت لوحة أخرى في العام 1920م تصف نظام الحكم في بلاد كوش والسيادة المطلقة للإله آمون فيقول (لقد منحني آمون نية السيادة على كل الناس، فمن أقول له أنت ملك يصبح ملكاً ومن أقول له أنت ليس بملك لا يصبح ملكاً، وقد منحني آمون طيبة السيادة على مصر فمن أقول له تتوج ملكاً يتوج ملكاً، ومن أقول له لا تتوج ملكاً لا يتوج ملكاً. إن الآلهة تتوج الملوك، كما أن الناس تتوج الملوك . أما أنا فقد توجني آمون. بعد وفاة الملك بيا خلفه على عرش كوش شاباكا 716-702ق.م. والذي حافظ على قوة وقasmak الامبراطورية الكوشية ولم يدخل في حروب خارجية كما فعل خلفه شباتاكا 690-702 ق.م. والذي أرسل أخيه تهارقا على رأس جيش محاربة الأشوريين في بلاد فلسطين. وبعد توقي تهارقا الحكم وجد اسمه في عدد كبير من المواقع الأثرية على امتداد وادي النيل، ولقد شيد المعابد أسفل جبل البركل المطل على سهل نبتة الخصيب. كما وجد اسمه في عدة مواقع أخرى في النوبة مثل كاوا وشيد في طيبة أعمدة حول معبد الكرنك من واجهاته الأربع الرئيسية وبنى بداخلها مجموعة من المعابد . حيث اقترن تهارقا بآلة آمون بعبدا الإله أوزوريس. وهنالك دليل على وجود اسمه في ممفيس والدلتا. وتخلى عن المقابر الكلاسيكية في الكرو وبني مقابرها في نوري على شاكلة مقابر أوزوريس في أبيدوس. كما وجدت مجموعة من النصوص التي وجدتها جريفث في كاوا تلقى مزيداً من الضوء على سياسة الملك تهارقا في إقامة المعابد وتزويدها

بالموظفين وتقديم القرابين وتقديم أئمّن العطایا للآلهة. ولقد شهد العام السادس من حكمه احتفالاً بفيضان النيل إشارة إلى الرخاء الذي عمّ المملكة. ولقد قبل تهارقا التحدي الذي فرضه الآشوريون. ويجيء ذكر اسمه في الكتاب المقدس (حيث يشير المحاربون السود الذين قدموا من بلاد كوش الهلع) فهاجم الملك اسارحدون مصر عام 641ق.م لكن جيوش تهارقا تمكنت من صده وتكررت محاولة الأشوريين 671ق.م فنجحوا في هذه المرة وترجعت الجيوش الكوشية جنوباً، ثم قام آشور بانيبال بهاجمة مصر مرة أخرى فتراجع تهارقا إلى مدينة طيبة ومنها إلى نبتة العاصمة الأولى.

بعد وفاة الملك تهارقا عام 664ق.م خلفه الملك تانوت أمانى - 664ق.م، والذي حاول استعادة مصر ونجح في بداية الأمر لكن عندما سمع الأشوريون بعودة الكوشيين أرسلوا جيوشهم لطردهم، وتمكنوا بالفعل من طرد الكوشيين إلى أراضيهم في نبتة. ولقد لعبت المعتقدات الدينية دوراً كبيراً في تأسيس دولة كوش، خاصة العبادة الآمونية، كما مثلت الأهمية الدينية بدورها مركزاً للجمعيات الاستيطانية.⁽⁴⁾ فلقد كانت المعابد مركز تجمع استيطاني وبناء المعابد في دولة كوش يرجع إلى عهد الدولة المصرية الوسطى، حيث شيد كل من سنوسرت الثالث وتحتمس الثالث عدداً من المعابد في بلاد كوش.

لذلك نلاحظ أن مناطق الكرو وجبل البركل تمثل أهم المراكز السكانية في بداية دولة كوش، وهذا يرجع إلى قدم المعابد في هذه المواقع. ويبدو أنها كانت تمثل مراكز إشعاع روحي يجذب السكان الذين كانوا يجوبون في تلك الأقاليم وعلىه فإن وجود هؤلاء السكان حول المعابد ربما عجل بقيام دولة كوش.⁽⁵⁾



معبد الإله آمون بجبل البركل عن مكتبة المتحف القومي السوداني 2008م

وتؤكد أهمية دور المعتقدات الدينية في كوش منذ بدايتها حقيقة أن كل المعابد قد شيدت من الحجر بأنواعه المختلفة، وأن اهتمام الملوك بالمعابد كان أشد وأقوى من اهتمامهم بالقصور الملكية، والدليل على ذلك هو بقاء كل المعابد أو آثارها، بينما لم يتبق إلا عدد قليل من القصور في موقع متفرق. وحتى عندما أصبح الملك في الإقليم الجنوبي في منطقة مروي كانت أكثر أهمية من الناحية السياسية. وظلت المعتقدات الدينية تلعب نفس الدور المهم الذي كانت تلعبه من قبل والملاحظة الجديدة هي ظهور الآلهة المحلية مثل الإله أبيدماك، ولكن من حيث التأثير فقد ظلت المعابد هي الأهم، ولا تزال في موقع النقطة والمصارات. تقف المعابد وتظهر آثار البعض الآخر. بينما لم تكتشف حتى

الآن أي قصور ملكية مؤكدة، وقد ساهمت هذه المعابد في تجميع الرحل الذين كانوا يتجلولون في مراعى أرض البطانة، وساعدت على استقرارهم مما جعل آثار هذه الواقع وتبدو وكأنها موقع ضخمة جداً. وقد لعبت المعتقدات الدينية عموماً والعقيدة الآمونية بصفة خاصة، دوراً أساساً في تأسيس واستقرار واستمرار دولة كوش، إذ إن قراءة نقوش ملوك هذه الدولة تؤكد الأهمية الكبيرة للجانب الديني، بدرجة أن معظم الواحدهم يغلب عليها طابع اللوحات الدينية وقد شكل الإله آمون وربما أبيدماك في الفترة الأخيرة نقطة انطلاق لكل النشاطات الكوشية، فكل الملوك تلقوا الملكية والسيادة والقوة من الإله آمون وقضوا على أعدائهم ومنافسيهم بفضل رضائه وقوته، وتظهر هذه الصورة بوضوح أكثر في نصوص اعتلاء العرش أو تسجيل الانتصارات وغيرها .

وقوة دور المعتقدات الدينية، ربما كان بسبب ضعف أو غياب العوامل العادلة التي تؤثر في توطين واستقرار السكان، مثل رابطة الدم أو اللغة أو غيرها من عناصر روح القومية التي تشد مجموعة من السكان إلى إقليم محدد .⁽⁶⁾



الإله آمون على هيئة كبش عن عمر حاج الزاكي مملكة مروي التاريخ والحضارة

أصل ملوك كوش:

اختلف علماء الآثار والمؤرخون حول أصل الملوك الذين حكموا السودان ومصر وعرفوا بالأسرة الخامسة والعشرين، ويعود ذلك أن الآثار الكوشية لم تلق الاهتمام والبحث الكافي، وكان علماء المصريات الأوائل الذين نقبو عن الآثار السودانية يعتمدون في معرفة تاريخ كوش على ما ورد في السجلات المصرية أو مقارنة آثار هذه الدولة مع آثار دولة أخرى معاصرة، أو سابقة لها خاصة الدولة المصرية . ونسبة للعلاقات الممتدة عبر الحقب التاريخية، فإن أسلاف الأسرة الخامسة والعشرين وملوكها كانوا قد تأثروا بالحضارة والثقافة المصرية، الأمر الذي جعل ملامح التمصير تبدو واضحة على هذه الأسرة ذات الخلية الكوشية، والتي انحدرت من حكام كرمة القدامي (7) ومن الكرو بالقرب من جبل البركل توجد أقدم مدافن البيت الحاكم، وقد استمرت الكرو مقابر ملكية حتى عهد الملك تانون أمني، وقد حملت مقابرها بعض مميزات حضارة كرمة . ذكر رايزنر أنه من خلال ارتباط ملوك الأسرة الخامسة والعشرين بمقابر أسلافهم في الكرو أصبح واضحًا أن موطن هذه الأسرة القوية ومقر الحاكم كذلك كان في الكرو، ولكنه ينسب ملوك هذه الأسرة إلى الأصل الليبي لاعتقاده بأن كاشا كان حفيداً لأحد الملوك الليبيين ولعثوره على رؤوس سهام تشبه السهام الليبية شكلاً نوعاًً وأيده في ذلك باحثون آخرون⁽⁸⁾

كما اعتقد بعض علماء المصريات أمثال بريستد ودرايتون وفانديبه وبيرج أن ملوك الأسرة الخامسة والعشرين وأسلافهم مصريون وقد اعتمدوا في قولهم هذا على الآثار والنقوش التي كانت معروفة والتي كانت تعكس جانبًا من نشاطات هؤلاء الملوك، مثل لوح النصر للملك بيأ ومسلة تانيس للملك تهارقو وبعض التماضيل لشبيك وأفراد أسرته التي اكتشفت في مصر، فقد لاحظ بريستد تعلق هؤلاء الملوك الشديد بعبادة الإله آمون فاعتقد بأنهم مصريون كما لاحظ داريتون تطابق الأسماء في بعاني بن الara (السوداني) وبعاني بن حوريحور المصري فظن أن الأول مصري كذلك لهذا السبب وكذلك أيده كثيرون في هذا الرأي.

وقد ظهر منذ وقت بعيد ضعف هذين الاتجاهين، نسبة لضعف الحج والبراهين التي أوردها أصحاب النظريتين، وبإعادة النظر. القراءة المتأنية وتقديم وسائل الحفريات توصل عدد من العلماء إلى حقائق جديدة مكنتهم من دحض آراء أولئك الدارسين، ولقد أوردوا كثيراً من الأدلة التي تشير إلى أن حضارة كوش حضارة سودانية، أو محلية أصلية، وإن كانت تأثرت بمن حولها، خاصة الحضارة الفرعونية.⁽⁹⁾

فهناك كثير من الملامح في هذه الحضارة يبدو وكأنها مأخوذة من حضارة المجموعة الثالثة⁽¹⁰⁾ واتضح أن الكيفية التي اتبعت في طريقة بناء مدافن الكرو الأولى والعادات الجنائزية التي سادت في الحضارات السودانية القديمة.⁽¹¹⁾ ويسوق دانهام عدداً من الحجج التي تدحض الرأي القائل بالأصل الوافد، ويرى أن معظم العادات التي وجدت في نبتة - مروي كانت موجودة منذ كرمة، وأن أصلهم المحلي ينعكس في عاداتهم في استعمال العنقريب في الدفن.⁽¹²⁾ وعلى الرغم مما ذهب إليه بعض العلماء، إلا أن الحضارة الكوشية لها خصائصها التي تميزها عن الحضارة المصرية، ولكن يبدو تطابق المظاهر وتشابهها قد فسره أولئك العلماء بأنه عملية تبعية مباشرة، لكن كان ذلك تأثيراً عادياً، ولم يخف ملاح تلك الحضارة العظيمة، التي لا تزال آثارها تقف شاهداً على مدى التقدم والتطور الذي حدث في بلاد كوش. وقد كان ذلك التطور الاقتصادي والسياسي والاجتماعي الذي شهدته كوش هو الأساس الذي قامت عليه هذه الحضارة الراسخة.

منذ 4000 ق.م وحتى ما بعد حضارة كرمة، كانت الكومة التربوية التي وجدت في مقابر الكرو الأولى، سمة مميزة في السودان إذاً فليس هنالك أي سبب لافتراض أن ملوك الأسرة الخامسة والعشرين لا ينتمون إلى المنطقة المحلية، ويبدو أنهم من أصل محلي حدث لهم عملية تأثير ثقافي من مصر⁽¹³⁾ وهذا كان نتيجة لاتصالهم الوثيق بها، وكذلك اتصالهم بكهنة آمون في طيبة وجبل البركل على أيام الاحتلال المصري في زمن الدولة الحديثة.⁽¹⁴⁾ ولم يعرف حتى الآن إلى أي مدى اتسعت هذه الحضارة في الاتجاهات الثلاثة

غير الشمال، ولم يتعقب آثار تلك الحضارة في الشرق والغرب والجنوب وسيظل هذا الحال على ما هو عليه، حتى يلتفت المهتمون في مجال الآثار، وتوجه الجهد في هذه الاتجاهات وربما تظهر أسرار كثيرة عن تأسيس دولة كوش والموطن الأصلي الذي قدم منه ملوك تلك الأسرة والحدود التي وصلت إليها نفوذهم، والثابت أنهم حكموا أقاليم دنقلا، ببر، الخرطوم، النيل الأزرق، وإقليم الجزيرة، وأجزاء من النيل الأبيض.⁽¹⁵⁾

خلد أصحاب هذه الحضارة مميزات ثقافية وحضارية منقطعة النظير، ونحتوا على جدران التاريخ أروع تذكار ولا تزال آثارهم تقف شاهداً على مدى التقدم والتطور الذي أحدثوه في بلاد كوش.

ومن العرض السابق، تأكيدت أصالة ملوك العائلة المالكة، التي حكمت السودان ومصر، واستمر حكمها في بلاد كوش حتى منتصف القرن الرابع الميلادي، وقد تأكيد ذلك أولاً لضعف الآراء التي تقول بالأصل الأجنبي، وكذلك قوة الأدلة التي تؤكد أصالة هذه الأسرة، وقد استطاع الباحثون من تلخيصها في النقاط التالية:

أولاً: الكومة الترابية التي بدأت بها مقابر الكرو والتي كانت سمة مميزة لمقابر بلاد كوش منذ فترة حضارة المجموعات الثالثة وكمرة.

ثانياً: عادة الدفن على العنقيب (سرير الخشب) التي وجدت في مقابر الكرو، هي عادة كوشية مؤكدة منذ فترة حضارة المجموعات ومروراً بحضارة كرمة.

ثالثاً: عادة التحلي بالأقراط عند الرجال، عادة كوشية قديمة، وما تزال ممتدة حتى الآن عند بعض قبائل جبال النوبة جنوب غرب السودان وبعض القبائل النيلية الحالية كقبائل الدينكا والشلك والنوير وغيرها.

رابعاً: دفن ملوك هذه الأسرة في الكرو ونوري، وأن المصريين لم يعرفوا دفن موتاهم خارج مصر.

خامساً: تصویر أصحاب هذه الحضارة في التماييل والنقوش عموماً وهم في ساحتهم الإفريقيّة السودانية.

سادساً: العثور على مقابر خمسة أجيال سابقة لكاشتا في الكرو واستمرار دفن الملوك فيها (عدا تهارقا) أي أن ملوك الأسرة الخامسة والعشرين دفنتوا في الكرو، أما تهارقوا فقد دفن في الكرو.

سابعاً: بعد فقدانهم لمصر رجعوا إلى بلاد كوش، واستقروا فيها كموطن أصلي وعلى الرغم من كل ذلك، فقد تقاضى كثير من العلماء عن الدور الذي لعبه الكوشي في صنع حضارته وتفرده بسماته الخاصة، حتى وصل بهم الحد نسبة هذه الأسرة للأصول المصرية أو الليبية وأرجع دكتور السمناني النصري هذا الافتراض للأسباب الآتية:-

أولاً: عدم التخطيط لاختيار المواقع التي يجري فيها التنقيب الأثري وغياب هيئة أو جهة تنظم هذا العمل في الفترات السابقة لتأسيس مصلحة الآثار.

ثانياً: بدائية وسائل التنقيب في ذلك الوقت، وندرة المعلومات عن بلاد كوش مقارنة مع وسائل التنقيب وكمية المعلومات الحالية.

ثالثاً: الاحتكاك اللصيق والاتصال الوثيق بين السودان ومصر عبر الحقب المختلفة.

رابعاً: كل الباحثين وعلماء الآثار الأوائل تقريباً الذين أسسوا لهذا النشاط في السودان كانوا من علماء المصريات أو الملمين بالتاريخ المصري لذلك فقد سهل عليهم ربط تاريخ السودان بالتاريخ المصري في كل مراحله.

خامساً: نقل الآثار السودانية من مواقعها إلى موقع أخرى خارج السودان أو داخله وعدم نشر النتائج الكاملة لأعمال التنقيب.



ملوك الأسرة الكوشية (25) أحمد مجمد علي الحاكم - حضارة نبتا- مروي- تاريخ
إفريقيا العام

حضارة مروي: الموقع الجغرافي :

تقع مروي شمال الشلال السادس في الضفة الشرقية لنهر النيل حيث تبعد من مدينة شندي (7) حوالي عشرة أميال، وبلغت حدودها الشمالية الشلال الأول وجنوباً منطقة الكوة على النيل الأبيض حيث تم وجود آثار تابعة للفترة المروية ، كما وجدت جبانة مروية في منطقة سنار على النيل الأزرق، أما من جهة الشرق فبلغت حدود البحر الأحمر حيث مناجم الذهب وضمت حدودها الغربية صحراء بيوضة حيث بني المرويون فيها القلاع وحفروا الآبار على طول الصحراء.⁽¹⁶⁾

الموقع الأثري:-

المدينة الملكية (مروي)

مثلت عاصمة المملكة وتضم العديد من المعابد والقصور، أهمها معبد الإله آمون وإيزيس والشمس، القصر والحمام الملكيين، وإلى الشرق منها توجد أهرامات البحراوية التي مثلت جنابات المرويين. والتي تنقسم إلى ثلاثة مجموعات جنوبية وشمالية وغربية.⁽¹⁷⁾

البعضة:

تقع على مسافة ثمانية عشر ميلاً جنوب شرق مدينة مروي القديمة. يوجد بها معبد وحفيir كبير تحيط به مجموعة تماثيل لأسود وضفاضع نقلت جميعها إلى متحف السودان القومي.

ود بانقا:

تقع جنوب غرب مدينة مروي القديمة بحوالي اثنين وخمسين ميلاً، يوجد بها بقايا معبد للإله آمون وابيدماك، وبها قصر للملكة أماني شاختو (26-43ق.م)، ومبني آخر في شكل خلية نحل يعتقد أنه صومعة غالال⁽¹⁸⁾

أم أسوده:

تقع في الجنوب الشرقي من مدينة مروي القديمة، وهي عبارة عن حفيir كبير محاط بتماثيل للإله ابيدماك (الأسد) لحمايته.

النقعة:

يقع موقعها في سهل البطانة على وادي العوتيب، من أهم الآثار فيها معبد الأسد وإلى الشرق منه معبد الإله آمون وبينهما مبني صغير عرف بالكسك الروماني.

المصورات الصفراء: تقع في وادي البناء إلى الجنوب من مدينة مروي القديمة بحوالي خمسة وأربعين ميلاً.

المصورات الصفراء:

يقع موقعها إلى الجنوب من مدينة مروي القديمة بحوالي خمسة وأربعين ميلاً في وادي البناء، ويكون من موقعين أثريين أحدهما إلى الغرب وهو عبارة عن سور ضخم عرف باسم السور العظيم، وعدداً من المعابد والمباني، وفي أقصى الشرق من الوادي يوجد معبد الأسد⁽¹⁹⁾

جبل قيلي:

يقع جنوب مدينة مروي القديمة بحوالي مائة ميل تقربياً، ويوجد به نقش للأمير شيراكيريرا وهو في حضرة الإله.

سوبا:

ونعني بها سوبا الشرقية والتي تقع إلى الجنوب بحوالي مائة وعشرين ميلاً تقربياً جنوب مدينة مروي القديمة. حيث عثر على مجموعة كباش عبارة عن تماثيل للإله آمون، منقوش عليها بالمرمية اسم الأمير شيراكيريرا، وهو الآن في المتحف القومي السوداني.⁽²⁰⁾

لعب موقع مروي المميز دوراً بارزاً في نمائها وتطورها وذلك لتتوفر مياه الأمطار وخصوصية وديان سهل البطانة مثل العوتيب والبنات والتي كانت تنتج محاصيل وفيرة، وتتوفر مراعي واسعة للمواشي. إضافة إلى أن موقع مروي كان مسيطراً على طرق التجارة خاصة الذهب والأفيال. كما أن استخراج الذهب في مروي لعب دوراً مهماً في تطورها وازدهارها. الشيء الذي جعل ملوك كوش يختارونها لتكون عاصمة لهم بدلاً من نبتة.

انتقال العاصمة إلى مروي:

اختلفت أراء المؤرخين حول انتقال العاصمة من نبتة إلى مروي، فذكر رايزنر أن قبور الكوشين انقسمت بين نبتة ومروي وأن الملك كان يدفن في المكان الذي يقيم فيه أو بالقرب منه، وبناءً على ذلك فإن كل الملوك المدفونين بالكرو أو نوري قد أقاموا بنبتة، وكل الملوك المدفونين بالبجراوية قد أقاموا بمروي⁽²²⁾ ويعتقد رايزنر أن انتقال العاصمة من نبتة إلى مروي تم عقب

وفاة الملك نستانس 308 ق.م إذ إن الدفن انتقل عقب وفاته إلى مروي وانتقلت العاصمة بعد ذلك إلى مروي. أما دنهام فيرى أن انتقال العاصمة كان تدريجياً وقد تم ذلك في عام 538ق.م، وبنى نظريته هذه على ملاحظته عدد الملوك المدفونات في نبتة ابتداءً من عهد الملك ماليناقن (555-542ق.م)، وحسب رأيه فإن الملوك أصبحت إقامتهم تطول في مروي، ما يعني أنهم كان يتزوجون من نساء مرويات مدفونهن جمِيعاً في البحراوية الشمالية بمروي. ويり مكادم أن انتقال العاصمة تم عقب حملة الملك بسماتيك الثاني 592-591ق.م في عهد الملك اسبلتا، ويدعم مكادم رأيه هذا بلوح حجري وجد لهذا الملك في معبد الشمس بمرادي. ويعتقد محمد علي الحاكم أن نبتة لم تكن عاصمة ملوك كوش منذ قيامها في العام 800ق.م وإنما مروي. ويعتمد في ذلك على مجموعة من الأدلة الأثرية، أهمها النقوش التي خلفها الملوك الأوائل لهذه المملكة التي تشير إلى أن نبتة كانت مركزاً دينياً احتفاليًّا مهماً ولكنها أبداً لم تذكر عاصمة. هذا بالإضافة إلى مقابر الأطفال التي وجدت بمروي. إذ إن الجبانة الغربية بمروي هي الوحيدة التي حوت مدافن أطفال، ما يعني أن أمهاتهم عشن في مروي. ما يدل على أن المقر الملكي كان في مروي.

كل هذه الآراء المتضاربة حول انتقال العاصمة من نبتة إلى مروي جعلت علماء الدراسات المروية يتفقون في العام 1971م في مؤتمر عقد في برلين أن انتقال العاصمة الكوشية إلى مروي كان في القرن الرابع قبل الميلاد عندما تجولت الجبانة من نوري مركز نبتة إلى البحراوية في مروي.⁽²³⁾

الاقتصاد المروي:

يعتبر العامل الاقتصادي أحد أهم أسباب قيام الحضارات. قدماً وحديثاً، إذ يساعد على نمو وازدهار اقتصاد أي دولة على إبراز جوانبها الحضارية واتصالها بالعالم الخارجي. لعب الاقتصاد المروي دوراً مهماً في نمو وازدهار هذه الحضارة. وقد تنوّعت النشاطات الاقتصادية المروية بتنوع البيئة المروية، فقد مورست معظم النشاطات الاقتصادية. فتميزت أرض مروي بالخصوصية العالمية لممارسة الزراعة، كذلك الرعي وقطع الأخشاب، والصيد والتعدين والتجارة.⁽²⁴⁾

يرى كل من الحاكم هيوك بأن النشاط الرعوي كان أكثر أهمية من النشاط الزراعي معتمدين على عدم وجود موقع سكنية دائمة في السهل الغربي للبطانة، ما يعني أن طبيعة المجتمع المروي كانت بدوية رعوية متنقلة . أما كرا فوت فيميل إلى أن الزراعة كانت هي أساس الاقتصاد المروي ويستدل على ذلك بالموقع السكني التي وجدت بالقرب من الأراضي الزراعية. بينما يرى شيني أن جزيرة مروي تقع في منطقة بها معدل أمطار سنوي يكفي لزراعة المحاصيل على طول أودية البطانة، كما توفر هذه الأودية مكاناً ملائماً لرعي الماشية.⁽²⁵⁾

النشاط الزراعي :

هيأت الظروف الطبيعية المتمثلة في المناخ حيث معدلات الأمطار العالية، والتربة الخصبة على طول النيل في بطون الأودية بيئه صالحة لممارسة الزراعة على نطاق واسع في جزيرة مروي، فلقد مارس أهل مروي مجموعة من أنواع الزراعة. النيلية، المروية، المطيرية، والفيضية.

أهم المحاصيل التي زرعها المرويون تمثلت في الخضروات والبقوليات حيث تظهر الرسومات التي نقشت على المقصورات الجنائزية الملحقة بأهرامات البحراوية الشمالية بعض القرابين في شكل خضروات وفواكهه (خيار، بصل، قرع، شعير، عجور، قمح، وعدس)⁽²⁶⁾ وكذلك القطن حيث يعد المرويون من أوائل الشعوب الإفريقية التي عرفت زراعته، وخير دليل على ذلك المنسوجات المحلية القطنية التي وجدت في مقابر المرويين، وقد ذكر ذلك صراحة الملك الأكسومي عيزانا عندما قال إنه (قام بتخريب مزارع القطن بمروي)⁽²⁷⁾، أما النخيل فقد ذكر استرابو أن المرويين كانوا يزرعون النخيل، وصور المناظر المختلفة على جدران المعابد وجريد النخيل تتدلى منه علامة العنخ (الحياة) ويبدو واضحاً أنه استخدمه في أداء بعض الطقوس الدينية. هذا بالإضافة للاستفادة من ثماره في غذائهم، وصنع الشراب منه، واستخدام جذوعه وفروعه في سقوف المعابد والمنازل كذلك تميز المرويون بزراعة الذرة والتي تعتبر أهم المحاصيل حيث كانت تمثل الغذاء الرئيسي للمرويين، وظهرت في شكل رسومات على جدران المعابد المروية، المقصورات الجنائزية في البحراوية الشمالية، كما وجدت في القبور

مجموعة قناديل ذرة. من ناحية أخرى استخدمت عيدان وأوراق الذرة كغذاء للحيوانات بعد موسم الحصاد. واهتم المرويون بهذا المحصول الاستراتيجي كثيراً ولجأ المزارعون لبناء مخازن له في شكل صومعة غلال في ود بانقا⁽²⁸⁾

النشاط الرعوي:

من أهم الأنشطة الاقتصادية التي مارسها أهل السودان قديماً وعلى وجه الخصوص في الفترة المروية حيث الظروف المناخية والبيئة المناسبة وهنالك مجموعة من الدلائل على ممارسة ذلك النشاط وفي نطاق واسع، فلقد كشفت الدراسات الأثرية في مروي عن وجود مجموعة كبيرة من عظام الأبقار، الشيء الذي يدلل على استهلاك كمية كبيرة من لحوم الأبقار، وذكر ذلك رسول الملك قمبيز ملك الفرس الذي أرسل للملك المروي أرقامني 525ق.م، فقال إنهم يعتمدون في غذائهم على اللحم المسلوق واللبن⁽⁹²⁾

ولقد قام المرويون بتصوير حياتهم الرعوية في كثير من المناظر مثل المصورات الجنائزية والمعابد، وعلى سطوح الأواني الفخارية والبرونزية. إضافة إلى أنهم قاموا ببناء الحفائر في عدد من المناطق لحفظ مياه الأمطار للاستفادة منها في موسم الصيف لحيواناتهم.⁽³⁰⁾

الصيد:

وفرت البيئة مكاناً مناسباً لممارسة المرويين لحرفة الصيد، فلقد وصف الكتاب الإغريقي وجود الحيوانات البرية في مروي، إضافة إلى أن المرويين من أكثر شعوب العالم مهارة في استخدام أدوات الصيد، مثل الفؤوس والحراب والسهام. كما أظهرت المناظر التي وجدت منقوشة على جدران السور العظيم بالمصورات الصفراء لممارسة هذا النوع من النشاط الاقتصادي، فكانت الأفيال من أكثر الحيوانات التي اهتم المرويون بصيدها لأهميتها الاقتصادية والغذائية. واهتم المرويون بصيد النعام الذي يأكلون لحومه وبپيه ويستخدمون ريشه فراشاً.

التجارة:

كان للتجارة دور بارز في نمو وازدهار الاقتصاد المروي، ويرى آدمز أن ما بلغته الدولة المروية من ثراء وقوة يرتكز على التجارة . كما أنها كانت عاملاً حاسماً في ضعف وتدحرج هذه المملكة وذلك عندما انهار الاقتصاد المروي، وكان لظهور أكسوم في الشرق بصفتها منافساً تجارياً ملروي أثر كبير في ضعف وتدحرج الدولة المروية.

كانت مروي تتميز بموقع جغرافي متميز، بحيث تربطها أنهار بالدول المجاورة، فمثلاً نهر عطبرة يربطها بالحبشة، أما النيل الأزرق فيربطها بمناطق سنار وفاوزولي، أما النيل الأبيض فيربطها بداخل إفريقيا. كما كانت لها علاقات تجارية مع كردفان ودارفور عبر طرق القوافل، إضافة إلى تجارة البحر الأحمر، عمل البطالمية على تطويرها وربطها بالطرق البرية بغية الاستفادة من السلع الإفريقية. من أهم السلع التي كان يصدرها المرويون العاج حيث وجدت منه مجموعة كبيرة في مخازن قصر الملكة أمانى شاختو في ود بanca، أما تجارة الأفيال فلقد ازدهرت بشكل كبير بمروي وقد استطاع إنسان تلك الفترة ترويضها تدريجياً⁽³¹⁾ وازدهرت تجارة الأفيال أيام البطالمية كما صدروا النعام وريشه، وجلوود الحيوانات والذهب، واستورد المرويون السلع التي لا تتوفر لديهم مثل الأواني البرونزية والزجاجية، والنبيذ والأخشاب.⁽³²⁾

أهم المظاهر الحضارية للدولة المروية:

الجانب الديني:

أشهر الآلهة التي عبادت في مروي هو الإله ابيدماك (الأسد) وسبوي مكر وارنسنوفس. وقد ذكر استرابو أن للإثيوبيين آلهتهم الخاصة بهم وهي ليست معروفة لغيرهم، وأشار إلى أن الإله ابيدماك هو إله بربري محلی. ويحتل الإله ابيدماك أعلى مرتبة دينية في الحضارة المروية بعد تدني عبادة الإله آمون حيث كشفت الآثار عن وجود عدد من المعابد التي بنيت باسم هذا الإله في كل من المدينة الملكية، البعصة، ود بanca، المربعة، العليم، النقعة، والمصورات الصفراء.

معبد الأسد بالنقعة :

يقع معبد الأسد في منطقة النقعة التي تقع في وادي البناء من سهل البطانة، وهي من أكثر المناطق الدينية عند المرويين (المناطق المقدسة)، حيث وجدت فيها كثیر من المعابد خاصة للإله أبیدماك وأمون، وإذا أفردنا الحديث في هذه المساحة لمعبد الأسد، فهو يتكون من غرفة واحدة تحتوى على مزار للإله أبیدماك، كذلك لالمعبد أربعة أعمدة من الصخر النوي الرملي، كما تم سقفه بمواد مصنوعة من الخشب.

عند دخول المعبد نشاهد الملك نتكمانى والملكة أماني تيري وهما يحملان سيفين لضرب مجموعة من الأعداء المؤثثين والذين يرفعون أياديهم تضرعاً يطلبون الرحمة والعفو من جلالهما، ونلاحظ أن الأسدین اللذين يرافقان الملك والملكة يتأنبهان لافتراض الأعداء، من هذا المشهد نستطيع أن نلاحظ مدى قوة السلطة الملكية في الدولة المروية، وهذا يبدو واضحاً من خلال تقديم هؤلاء الأسرى كقربان للإله المقدس بالمعبد، وأيضاً يدل على أن السلطة الملكية قادرة على الجسم والتدخل إذا ما تطلب الأمر ذلك .⁽³³⁾



معبد الأسد بالنقعة عن عمر حاج الزاكي مملكة مروي التاريخ والحضارة ولقد أبدع الفنان المروي في إظهار الأشكال والأزياء المحلية التي كان يرتديها الملك والملكة، كما عكست صورة الكنداكة وهي مشوقة القوام في شكل جميل وأوضح مدى مقاييس الجمال التي كانت سائدة بين المرويين .

كذلك لا بد من ملاحظة المنظر على طول حافة البوابة لمعبد الأسد، حيث تم تصوير الإله ابيدماك برأس أسد يعتلي رأسه تاجه المعروف أما الجسم فهو لشعبان ينبعث من زهرة اللوتس (زهرة السوسن) له كتفين ويدين لإنسان⁽³⁴⁾. وكذلك لا بد من ملاحظة المنظر على حائط المعبد الشمالي الذي نقش به، هذا المشهد يظهر فيه الملك نتكمامي وتصحبه الملكة أماني توري وابنهما الأمير اركنخير، وهم جميعاً أمام خمسة من الإلهات وهن : ايزيس والتي ظهرت بتاج مصنوع من قرني بقرة وقرص شمس، والإله موت والتي ظهرت بتاج مزدوج، والإله أمسيمي والتي ظهرت بتاج به صقرين وقرص شمس، إما الإله حاثور فظهرت في هذا المشهد بتاج به ريشتين وقرن بقرة وقرص الشمس، وكذلك الإله سالت والتي ظهرت بتاج به قريني غزال، حيث كانت الإله ايزيس تهب الملك حزمة من الأعداء المقيدين والإله أمسى والتي يبدو أنها تحمل يداً مقطوعة لعدو، وفي هذا المشهد نلاحظ أن حجم الملكة كان أكثر ضخامة من حجم الإلهات⁽³⁵⁾. وهنا نلاحظ في هذا المشهد مدى إبداع الفنان المروي خاصة في إظهار الملامح العامة للجسم وكذلك تجسيد الصورة الدينية للمرويين واهتمامهم بالإلهات اللواتي عبدن في مملكتهم، وأظهر قوتهم في حماية المملكة ورعايتها للأسرة الحاكمة. وكذلك في جميع المشاهد في المعابد الدينية.

أما الجدار الجنوبي فلقد نقش فيه مشهد آخر للأسرة المالكة وهم أمام خمسة من الآلهة وهم الإله ابيدماك وله رأس أسد والإله حورص وله رأس صقر، وكذلك الإله آمون برأس كبش، أما الإله افيدس والذي صور في هذا المشهد برأس إنسان، والإله آمون بنوبس والذي ظهر أيضاً برأس كبش. ومن أكثر المناظر إثارة هو الذي تفزن فيه الفنان المروي في هذا المعبد في جداره الغربي حيث نشاهد أن الإله ابيدماك يقف في المنتصف في شكل مذكر له أربع أذرع، ذراعان ممدودتان يساراً نحو الملكة، وذراعان ممدودتان يميناً نحو الملك، هذا وقد مثل اركنخير على الجانبين خلت واكديه، وأيضاً لهذا الشكل ثلاثة رؤوس أسود الأول يتوجه إلى الأمام والثاني والثالث يتوجهان نحو الشمال والجنوب، ويمكن القول أن هنالك رأساً رابعاً في الاتجاه الخلفي لذلك لم يظهره الفنان

المروي⁽³⁶⁾ إن هذا المشهد الفريد الذي ظهر به الإله ابيدماك أثار كثيراً من الجدل والتخيّلات، فلقد قدر أركل أن الإله ذو الوجوه الثلاث والأذرع المتعددة ناتج من تأثير هندي، وصل للمرويين عبر مملكة أكسوم المجاورة لهم، لكن في تقديرنا وتقدير كثير من المؤرخين أن هذا المشهد يدل على أن الإله قادر على التعامل مع كل الجهات في وقت واحد، فمثلاً في هذا المنظر نجد أن الملك والملكة على يمينه ويساره والزائر أمامه.

معبد الأسد بالمصورات الصفراء :-

تقع منطقة المصورات الصفراء في سهل البطانة في الضفة الشرقية لنهر النيل في وادي البنات وهي منطقة ذات طبيعة دينية بحتة، لذلك نشاهد منها العديد من المعابد والمراكز الدينية ومن أشهر وأهم معابدها معبد الأسد الذي يرجع تاريخه إلى القرن الثالث قبل الميلاد(37)

162 The Kingdom of Kush



الإله (الأسد) ابيدماك عن l.y.zabaker the lion good of meroe

فقد تميز معبد الأسد بالمصورات الصفراء مثله ومثل معبد الأسد بالنقعة بأنه يتكون في الأساس من حجرة واحدة، ولقد بناه الملك ارنخامني في بداية القرن الثالث قبل الميلاد، وهنالك سببان محليان لوجود هذا النسق المعماري الفريد،

الأول أنه ربما كان هذا الطراز تطور طبيعي تلقائي نشأ عن طراز معماري سابق إذ إن المعبد قد أعيد بناؤه على نفس هذا النسق المعماري أما السبب الثاني فيرجع للمحلية الصحيحة لهذه المعابد أي أنها أصلية في تخطيطها وهي مناسبة لمناطق مثل البطانة حيث تنعدم مواد البناء مما يجعل بناء معبد واسعاً بعيداً الاحتمال، وربما تدل بساطة المعبد على شكل مبسط من العبادة⁽⁸³⁾.

برع الفنان المروي في تجسيد العديد من الآلهة في هذا المعبد حيث نجد مثلاً في الحائط الجنوبي للالمعبد ارنخامني، الآلهة ايزيس يتقدمها ايزيس منطقة ابرير - نه 3 Ibrbr Nh واربي - كلب، وهذا الاسمان قد تم التعرف عليهما على انهما يشيران إلى المصورات الصفراء وود بanca على التوالي كما أن هنالك صفاً من الآلهة في مواجهة الملك يتقدمها الإله ابيدماك ومن خلفه خمسة آلهة وهم ايضاً على التوالي الإله آمون، وسرى مكر، ثم ارنسنوفس، ويليهم الإله حورص، وأخيراً الإله ثوث Thoth، كذلك نجد في الحائط الشمالي تصويراً لعدد من الآلهة يقودهم ابيدماك. ومن الملاحظ أن هذه الرسومات مصحوبة بنقوش هيروغليفية، وهي عن أقوال تتلفظ بها الآلهة، أو ابتهالات يبتهل بها الملك أو الكاهن⁽³⁹⁾

معبد الشمس:

تم الكشف على معبد مهم جداً يقع إلى الشرق من مدينة مروي في منتصف المسافة التي تقع بين المدينة الملكية (مروي) والجبانات الغربية، وتقريراً على بعد ميل واحد من مدينة مروي، ويرجع الفضل في العثور على هذا المعبد للباحث الآثاري فارستنانق⁽⁴⁰⁾ وقبل اكتشاف هذا المعبد، كانت هنالك معلومات من قبل المؤرخ الإغريقي هيروdotus تشير إلى وجود معبد مخصص لعبادة الشمس بمروي كما وأشار هيروdotus إلى وجود مائدة قرابين ضخمة، وضعت خارج المعبد وكان البروفسور شيني يرى أن أوجه الشبه ضئيلة جداً بين المعبد الذي وأشار إليه هيروdotus والمعبد المكتشف بواسطة قارستانق⁽⁴¹⁾، وهذا الشبه يعتمد فقط على وجود حجر تم العثور عليه بين حطام المعبد، كان فيه قرص شمس كبير ولكن رغم التحفظ حول تطابق المعبد الذي وأشار إليه هيروdotus والآخر الذي اكتشفه

قارستانق، إلا أننا نجد أن تسمية الأخير بـ(معبد الشمس) قد لاقت قبولاً ورواجاً حتى أصبح متعارفاً عليه بأنه معبد الشمس، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن د. محمد علي الحاكم ذكر أن من الخطأ أن يعتقد أن هذا المعبد خصيصاً لعبادة الشمس بل ذهب إلى أنه واحد من مجموعة معابد لاله ابيدماك، ومما يقوي هذا الرأي مجموعة الرسومات ذات الطابع الحربي والتي وجدت في كل من الجدار الجنوبي والغربي وهي من أقوى المميزات للإله ابيدماك، إضافة إلى أن ملوك مروي كان لا بد لهم أن يشيدوا معبداً للإله ابيدماك بعاصمتهم طالما أصبح الأسد هو الإله المفضل والممحوري للمملكة. والجدير بالذكر أن بعض العلماء ذهبوا إلى أن معبد الشمس شيد في عهد الملك اسبلتا (593 - 568 ق.م) لأنه قد وجد بحطام هذا المعبد لوحة تحمل اسم الملك اسبلتا، ويذهب أصحاب هذا الرأي إلى أنه ربما أعيد بناؤه في نهاية القرن الأول قبل الميلاد، ودللوا على ذلك بوجود ثلاثة خرطيش كتب عليها اسم الملك اكنداد Akinidad.

تميز معبد الشمس بالرسومات الجميلة التي نقشت على جدرانه والتي شيدت بالحجر الرملي. فمن ضمن الرسومات التي تشاهد على جدرانه ذلك المنظر الموجود على الحائط الشمالي والذي يظهر فيه ملك جالس في مواجهة مجموعة من النساء الراقصات وعدد من الأبقار وكذلك عربة تجرها أربعة خيول، وبالرغم من الدمار الشامل الذي لحق بالمعبد إلا أن من الممكن التعرف على وجود سلم حجري يؤدي إلى محراب المعبد.

والجدير بالذكر أن الدور الذي لعبته هذه المعابد هو أداء الشعائر الدينية بالرغم من أدوار المعابد التي أفصحت عنها الآثار تتركز على المناسبات التي لها ارتباط بطقس اختيار وتتويج الملوك، إلا أن كثرة هذه المعابد هو دليل واضح وقاطع على أن ملوك مروي كانوا يمارسون طقوساً تعبدية منتظمة سواء كانت يومية أو موسمية . هذا وقد كانت لهم تراتيل وأدعية محفوظة وكذلك أفعال حركية معينة يقومون بها بغية التقرب للإله، فمثلاً تلك الابتهاالت التي وجدت بالمعابد. ربما كان المرويون يستخدمونها أثناء تأدية طقس تعبد محدد. وفي هذا الصدد لا بد أن تكون بعض الرسومات العديدة من الآلهة والملوك

والكهنة على جدران المعابد دلالات تعبدية وطقسية أكثر من كونها توثيقية ولا سيما تلك التي تقدم فيها القرابين للإله من قبل الملوك، هذا إضافة على أن استخدام العلامات والخراطيش دلالة على اهتمام عامة الشعب بزيارة هذه المعابد والتقرب للألهة وكما يرى الدكتور عمر حاج الزاكي .



الكتش المروي (الروماني) عن عمر حاج الزاكي مملكة مروي التاريخ والحضارة

السور :

على الرغم من أن الأدلة الأثرية على قلتها لا تؤكّد اهتمام المرويين وحرصهم على بناء أسوار خارج المعابد الآمونية إلا أنهم كانوا على دراية بأهمية الأسوار وحرصوا على إقامتها بشكل مؤكّد حول معابد الأسد، فضم السور الكبير في المصورات الصفراء بين جنباته أكبر حشد من المعابد بوادي النيل القديم وزين بصورة كثيرة تعكس مشاهد الحياة اليومية عند المرويين تتمثل هذه الرسوم في الحيوانات المختلفة من البيئة المحلية المروية وكذلك رسوم أخرى طريفة .

الفنون: من أهم الفنون التي تميز بها المرويون هو النحت والذي عادة ما يكون لأغراض دينية أو جنائزية والرسم والتلوين.

علاقات مروي الخارجية :

نسبة موقع دولة مروي في الطرف الجنوبي لمثلث الحضارات القديمة وبحكم مجاورتهم لمصر، لم يبق المرويون في عزلة تامة عما كان يجري حولهم ولم يسلموا كذلك من غزوات وأطماع المصريين والفرس والرومانيين والبطالمة وجيرانهم من جهة الشرق في مملكة أكسوم. وفي عام 591 ق.م غزا فرعون مصر بسماتيك الثاني شمال السودان وأحدث جنوده دماراً كبيراً خاصة في معابد جبل البركل وركز بشكل كبير في تدميره على تماثيل الملك في معبد آمون الكبير، وكذلك في ذي قيل كما دلت عليه الاكتشافات الحديثة، وإن كنا لا ندرى أسباب تلك الحملة التي لم تكن تستهدف البلاد، لذلك نرجح أنها كانت لردع المرويين.

كذلك شهدت العلاقات المروية والفارسية أنواعاً من السياسات خاصة بعد سيطرتهم على مصر. لذلك نلاحظ مدى إبراز القوة للمرويين ملك الفرس قمبيز، خاصة بعد أن أرسال له هدية مع رسالته والتي كانت تمثل قوس قوى وكبير وأيضاً اطلاع رسل الفرس لرعايا ملوك مروي وجودة غذائهم المكون من اللبن واللحم . لذلك نلاحظ أن العلاقة كانت مقدرة للغاية بين الطرفين ولكن الفرس تراجعوا عن غزوهم لبلاد مروي نسبة لوعورة المسالك التي تؤدي إلى مروي . وأيضاً لا بد من الإشارة إلى شكل العلاقة بين المرويين والبطالمة والتي تأرجحت علاقتهم بين الحربة والسلامية في أوقات أخرى. وأغلب حملات البطالمة كانت لتأمين حدود مصر الجنوبية من خطر المرويين، وفي أوقات كثيرة كانت العلاقات متمثلة بتبادل المنافع وإقامة الشعائر الدينية وغيرها.⁽⁴²⁾

أما علاقات المملكة المروية مع الرومان خاصة بعد سيطرتهم على مصر في منتصف القرن الأول قبل الميلاد بعد أن انتزعوها من الإغريق فكانت حربية وهذا يبدو واضحاً بعد حملة المرويين على صعيد مصر وسيطروا على أسوان، فأرسل القائد بترونيس (25 - 21 ق.م) حملة قوية هزمت المرويين ووصلت إلى نبتة وأحدث فيها خراباً كبيراً ثم عاد بعد ذلك إلى مصر.

ولكن بعد هذه المرحلة تحسنت العلاقات المروية مع الرومان خاصة بعد عملية الصلح التي قمت بين ملكة مروي التي وصفها استرابوب المرأة العوراء المسترجلة وامبراطور روما والذي انعكس على المنطقة الشمالية بالازدهار التجاري والتبادل الثقافي، وتسربت على إثر هذا التبادل الكثير من المؤثرات الثقافية الرومانية إلى بلاد مروي.

في منتصف القرن الرابع الميلادي كانت مروي في قمة الضعف والانحلال نسبة لما أصابها من فقر وقلة في الموارد، وكذلك الهجمات التي تكررت في فعل قبائل البجة في الشرق، وهذه الحالة من الضعف يصفها ملك أسمون عيزانا الذي سير حملة إلى مروي وكانت نهايتها في عام 350 م (43)

دامت دولة كوش لأكثر من ألف عام متصلة بين نبتة ومروي حتى أصابها من الوهن والضعف ما يصيب الأمم وخلال مسیرتها الطويلة شاركت كوش في بناء الحضارة الإنسانية وتقدمها خاصة في بلاد السودان الواسعة والمناطق المجاورة لها في القارة الإفريقية.

كنداكات الدولة المروية :

يذكر أن المرويين اعتقادوا في الأسطورة التي تقول (بان آمون جعل الحكم في أبناء أخوات الزعيم الراشد الأبد الآبدين)، ويفهم من هذه الأسطورة أن آمون خص بملك الذكور دون الإناث، وبالفعل نلاحظ أن حكام كوش الأوائل والذين دفعوا في جبانتي الكرو ونوري الملكيتين وعدهم ستة وعشرون ملكاً كلهم من الرجال كما نلاحظ أن النساء دفنن في جزء منفصل عن مدافن الملوك كما تميزت أهراماتهن بصغر الحجم وضآلته المحتويات بالنسبة لأهرامات الملوك .

اما في جبانات الجرياويه نلاحظ أن الهرم السادس من مقابر الجرياويه الشمالية كان قبراً للملكة أماني شاختو أكبر أهرامات تلك الجبانة على الإطلاق كما توسيطت أهرامات نساء ملكات آخريات أهرامات الرجال الملوك . ونرى في هذا التغيير في عادات الدفن، الذي بدأ في القرن الثالث قبل الميلاد انعكاساً لتنامي مكانة النساء الملكات وتقديرهن نحو الصدارة بعد أن ظللن خلف الملوك

لقرؤن عدیدة.

ويبدو أن أول ملكة تبؤت ذلك المنصب هي الملكة برتاري 280 ق.م المدفونة في الهرم العاشرة في مقابر البحراوية الجنوبية وبعدها بقرن تقريباً جلست الملكة شنکداختي على عرش مروي 170 ق.م وما أن حل القرن الأول قبل الميلاد حتى تعاقب على مركز الصدارة عدد من النساء الشهيرات اللائي تركن بصماتهن على آثار المملكة وتحقق لبعضهن الجلوس على العرش أو مشاركة أزواجهن الملوك في السلطة .(44)



الكنداكة أماني شاختو عن عمر حاج الزاكي مملكة مروي التاريخ والحضارة في بداية القرن الثاني قبل الميلاد تبؤت المملكة شنكتاختو 170 - 160 ق.م عرش المملكة وبقيت على مقصورة هرمتها صورة لشخص يافع يرجح أنه ابن أو أخ قاصر قامت شنكتاختو وصية على عرشه .

أما في القرن الأول قبل الميلاد فقد تصاعد نجم النساء الملكيات بصورة لم يسبق لها مثيل في التاريخ المروي، وقد رافق ظهور ثلاث مجموعات أسرية بدأ فيها وكأن أفراد كل مجموعة توجوا ملوكاً ليشاركون في أمور الحكم وأداء الشعائر الدينية أمام الآلهة، المجموعة ضمت الملك ترتقاس والكنداكة أماني رينس والأمير اكنداد، والمجموعة الثانية ضمت الملكة الكنداكة أماني شاختي والأمير اكنداد وأمانى ختاي والمجموعة الأسرية الثالثة والتي ضمت الملك نتكامني والكنداكة أماني توري والأمراء اريكتانى، اريكارخير، وشروعر، كما عثر هنترزا على خاتم ملكي نقشت عليه صورتا ملك وملكة يرفعان طفلاً . وكل هذه النقوش الأسرية دلالة واضحة لتنامي الشعور الأسري لدى ملوك الدولة المروية.

أما الشأن الكبير الذي بلغته الكنداكات في مروي مؤخراً لا يمكن فصله عما سبق أن كسبته النساء الملكات خاصة الأم والزوجة في صدر الدولة الكوشية وقد رأى مكادام أن السيدات الملكات ظللن يحتفظن بمكانتهن على مر القرون وهذا بسبب دورهن الإيجابي في تجديد وراثة الملك حسب الأعراف والتقاليد الكوشية ويرجح أن لقب كنداكة موازيًا للقب أم الملك والذي عرف بالتصوص الملكية المكتوبة وبشكل أدق بأن لقب كنداكة كما يرى مكارم يطلق على أم الملك القائم أو على تلك التي يرجى لها أن تنجب ملكاً، وإن في ظاهرة المبالغة في تضخيم صدر وعجز الكنداكة عند تصويرها رمزاً للخصوصية المرجوة والضرورية لإنجاب الملوك. وللاحظ تعظيم النساء عموماً بين الكوشيين وهذا يبدو واضحاً في لوحات القرابين المكتوبة باللغة المروية لغير الملوك أو أفراد الأسرة الملكية والتي كشفت عن مرض أصحابها على الانتساب للأم قبل الأب وقد كان المليت يعرف نفسه بأنه (فلان ابن فلانة ابن فلان) . ولقد نلاحظ التعظيم الكبير للنساء في العهد المسيحي في السودان، وما زال السودانيون يرددون مثلهم المشهور (

الحال شريك الوالد) وهذا دليل قوى لمكانة النساء في المجتمع السوداني، وأيضاً نجد بعض أهل غرب السودان يطلقون على الأصدقاء (ولد أمي) وهو تعبير فيه كثير من قيم القوة في شكل العلاقات والصلات الأمومية بين أفراد المجتمع الواحد. وهذه قيم غرسـت منذ بدايات الدولة الكوشية.



الكنداكة أمانى توري عن عمر حاج الزاكي مملكة مروي التاريخ والحضارة

الكتابات المروية :

مع مجيء الملكة شاناكختي (170-160ق.م) بدأت تسيطر الأم على مفاصل السياسة أو الأسرة، ولقد عثر على بناء ضخم لهذه الملكة في النقطة على نقوش مكتوبة باللغة المروية. ولقد عثر على مئات النقوش ونلاحظ أن معظم الكتابات كانت منقوشة على الحجارة كما عثر على القليل منها على ورق البردي، وبشكل عام يمكن تقسيم المواضيع التي تناولتها تلك الكتابات إلى فئتين رئيسيتين (دينية - ودنية)، والنوع الأول هو الغالب فقد وجد على موائد القربان واللوحات الجنائزية، وعلى جدران المعابد والمقصورات الملحقة بالأهرامات وعلى مداخل القبور، أما النوع الثاني من الكتابات المروية (الدينية)، فتشمل كل ما يتعلق بسيرة الملوك والمعاملات، وأعظم نقشين ملكيين هما لوحة الملك المروي تانيدملنلي(120-100ق.م) ولوحة الأمير اكنداد(69-64ق.م)

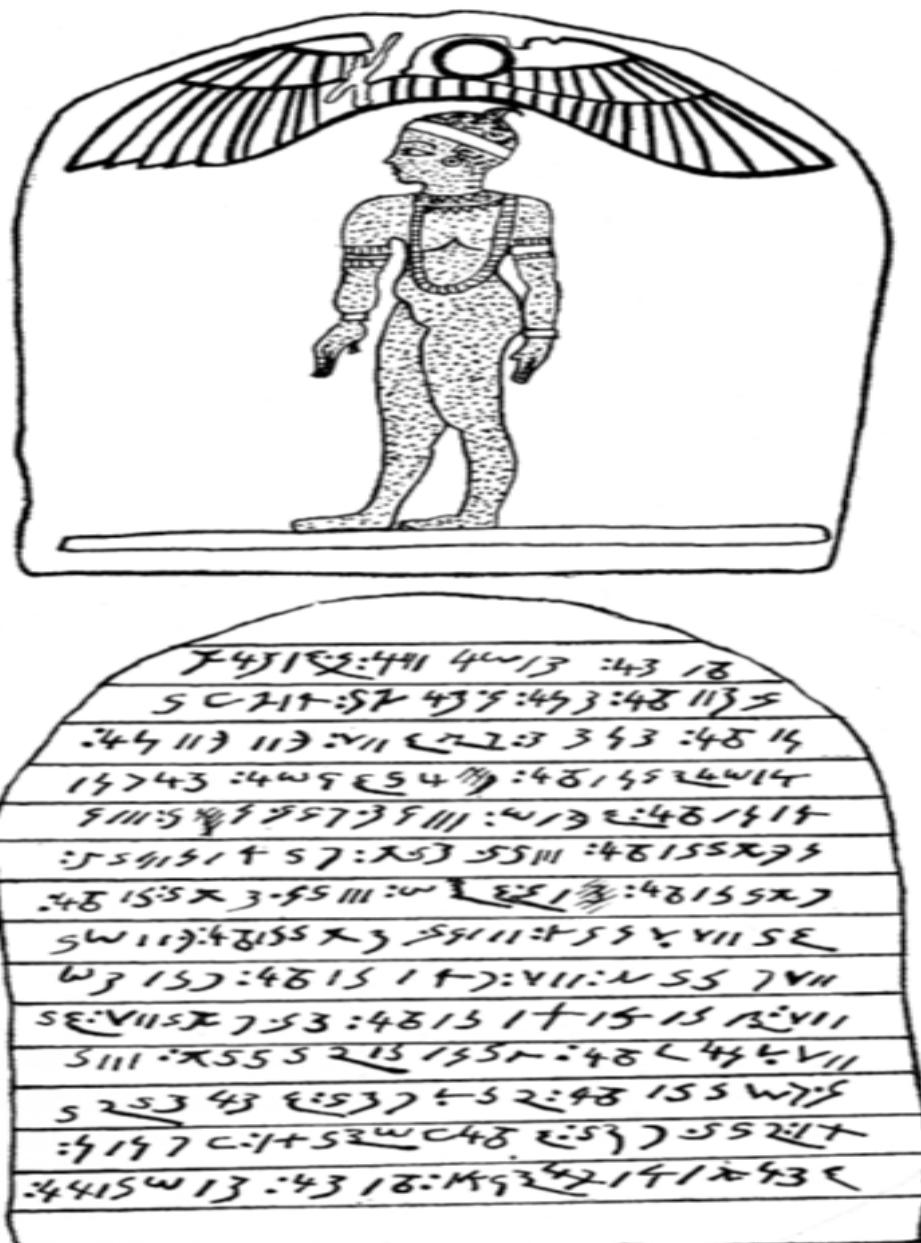
حظيت الكتابات القديمة وخاصة اللغات المندثرة باهتمام الباحثين شأنها في ذلك شأن الآثار، ولوجودها ضمن تلك الآثار، وعلى الرغم من أن فك رموز لغة ميّة أمر صعب. لكن ضروريات المعرفة بتاريخ الإنسانية مثلت دافعاً أساسياً لاكتشاف هذا الصعب أو المستحيل. وفي هذا المجال قام علماء اللغات بمجهود جبار ونجحوا في فك رموز اللغات القديمة (المسمارية العراقية - الهيروغليفية المصرية) وأصبح تاريخ تلك المناطق سهلاً للباحثين. لكن اللغة المروية لم يصب فيها إلا نجاحاً محدوداً. وهذا يرجع إلى أنهما في الكتابات القديمة العراقية والمصرية عثروا على نقش يحتوى على كتابات باللغات القديمة (الميّة) وما يقابلها أو ترجمتها بلغة قديمة مازالت معروفة، وبخصوص اللغة المسмарية وجد نقش على صخرة بهستون في إيران فيه كتابات مسмарية وترجمتها باللغة الفارسية القديمة المقروءة، ونجح الإنجليزي هنري ولسون في فك رموز النصين البابلي والآشوري في عام 1947م. وفي مصر وجد حجر رشيد وعليه خطان مصريان قدماً وترجمتهما باللغة الإغريقية القديمة المقروءة، وتمكن الفرنسي شامبليون في عام 1831م من فك رموز الكتابات المصرية مستعيناً بالنص الإغريقي. ولما لم يعثر الباحثان على نقش مماثل للكتابة المروية فتظل معرفتنا محدودة

بمعانیها . وفي الواقع إننا نستطيع حالياً قراءة النصوص المروية لكننا لا نفهم إلا اليسir من معانی ما نقرأ.

وتواترت جهود الباحثين ومازالت تتحقق تقدماً ملحوظاً وإن كان بطیئاً نحو الفهم الكامل لتلك اللغة، وعندما يتم إدراك معانیها فإن ذلك يساعد كثيراً في فهم تاريخ الدولة المروية. لأن الخط المروي كان هجائیاً سهل التعليم والكتابة، حيث انتشرت المعرفة بين عامة المرويين في زمانهم حتى أن ديدور الصقلي زعم بأن كل المرويين كانوا يكتبون بينما اقتصرت معرفة الكتابة في مصر في أواسط الكھان.⁽⁴⁵⁾

يمكن القول بأنه خلال الفترة المروية اتسعت المعرفة باللغة والكتابة المروية، واليسير من اللغات الأجنبية خاصة المصرية واليونانية واللاتينية وربما الحبشية.

نموذج للكتابة المروية عن عمر حاج الزاي مروي التاريخ والحضارة



الخاتمة :

تعتبر الحضارة الكوشية من أخصب الفترات الحضارية في تاريخ السودان، وبلا شك تعكس قيمته وعراقتها. ولعل الإسهامات التي خلدها أجدادنا في تلك الفترة تقف شاهداً على مدى التحضر والتمدن الذي وصل إليه الشعب الكوشي، فهو الذي استطاع أن يكون امبراطورية عظمى شهدتها التاريخ، وبنوا المعابد والأهرامات وقدسوا مجموعة من الآلة. كما برعوا في الزراعة خاصة الخضروات والبقوليات والقطن. ووصلت صناعة الحديد وصهره مراحل متقدمة. وهم الذين اخترعوا الكتابة في الفترة المروية . كما اعتلت مجموعة من النساء على السلطة فيها عرفن تاريخياً بالكندакات . وتميزت بعلاقات خارجية أثرت فيها وتأثرت بها خاصة في الفترة المروية.

النتائج :

1. قيمة العراقة في الحضارة السودانية تمثلها الفترة الكوشية .
2. بناء المعابد والأهرامات أهم إنجازات الكوشيين المعمارية .
3. سيطرة عبادة الإله آمون وابيدماك في الفترة الكوشية على النظام الديني .
4. تطور الصناعة خاصة الفخار والحديد والذي لعب دورا اقتصاديا بارزا في تلك الفترة .
5. اختراع الكتابة المروية والعمل بها في المعابد والقصور .
6. سيطرة مجموعة من النساء على السلطة في مروي عرفته تاريخيا بالكندакات .
7. تميز العلاقات الخارجية وتطورها والتأثير والتأثير بالمحيط الخارجي .

المصادر والمراجع :

- (1) سامية بشير دفع الله تاريخ الحضارات السودانية القديمة منذ أقدم العصور حتى قيام مملكة نبتة - الخرطوم - دار هايل للطباعة والنشر والتغليف - 1999 م - ص - 316
- (2) السمااني النصري - - تاريخ السودان القديم محة عامة - مجلة دراسات حوض النيل - العدد الرابع عشر - جامعة النيلين - عمادة البحوث والتنمية والتطوير - 2012 م - ص - 71
- (3) Varcouetter . J . upper Egyption Settlers in Middle Kingdom Nobia- Kush - 5 -1957 - p - (61 - 96)
- (4) أحمد محمد على الحكم - من ملامح الحضارة المروية في السودان - مجلة الدراسات السودانية - العدد الاول - 1973 م - ص 95
- (5) السمااني النصري - مرجع سابق - ص 82
- (6) J.Garstand، A.H.saye، FLI .Griffith، Meroe the City of the Ethiopians، at the clarndon press، oxford، 1911، p.9
- (7) D.M.Dixon، A Meroit Cemetery at Sennar «Kush، xl ، 1963، p63، p227
- (8) احمد محمد على الحكم - حضارة نباتا- مروي- تاريخ افريقيا العام - الجزء الثاني - هيئة اليونسكو- 1985 م - ص 322
- (9) Emery -W - M - B - Egypt in Nubia - l0nd0n - 1965 - p - (208 السمااني النصري - مرجع سابق - ص (83) (10)
- (11) Arkll - - Ahistory of the Sudan - ed-london - 1950 - - pp - (19 - 21)
- (12) Dunham - dand . janssen، j . m . a .; Second co taract forts - vol - 1 - Boston - 1960 - pp - (25-)
- (13) P.L. Shinnie، Meroe a Civilization of the Sudan Thame and Had son، London، 1967، p.30

- (14) Reisner - .Discovery of the Tomes Egytion xxvth Dynsty at el-kuwa in Dongle brovince SNR-vol-ii- 1919-p. - 6
 (السماني النصري - ملرجم سابق - ص (85) (15)
- (16) Arkll - Op.Cit., P.9
- (17) J.W Crowfoot, FLI. Griffith the Island of Meroe and Meroitic Inscriptions Fund, London, 1911, p.47
 (احمد محمد علي الحاكم - مرجع سا-بق - ص 319 (18)
- (19) J.W. Crowfoot, Op.Cit., P.69
 Book on Egypt and Chaldaea ,E. W .Budge 20- (20)
 London , Annals of Nubian Kings ,Egyptian Literature II
 p.147 ,1912
- (21) G.A. Reisner, « The Meroitic Kingdom of Ethiopia» SNR. v, 1922, p 66
 66-P.60 - Op.Cit. ,G.A. Reisner 22- (22)
- (23) A.M.A Hakem, « the City of Meroe and the Myth of the Napata» Adab, vol.2.3, 1975, p 121
- (24) Ursula Hintze, » The Graffiti Form the Great Enclosure es sufra» Meroitica, 5, Berlin, 1979, pp. 130150-
- (25) A.J.Arkell, A History of the Sudan to 1821, 2nd ed., The Athlone Press, London, 1961, pp 2021-
- (26) Shinnie - 1967 - ibid - p - 33
- (27) Sausan. E Chapman, RCK, 111, Mueseum of fine Arts, Boston, 1952, Pls 18E, 192, 28B
- (28) A.J.Arkell, A History of the Sudan to 1821, 2nd ed., The

Athlone Press, London, 1961 , pp2021-

- (29) Divan. Edwards, Archaeology and settlement in Upper Nubia in there 1st millennium AD.Gambridge Monographs In African Archaeology 36, BAR, International series. 537, oxford, 1989- p 152.
- (30) P.L. Shinnie, «the fall of Meroe», Kush, 11, 1955 p 83.
- (31) B.G Haycock, op.cit., p.25
- (32) W. Y. Adams « Nuboa Corridor to Africa», Allen lane, Princeton university press, London, 1977, p 11.
- عمر حاج الزياني - مملكة مروي التاريخ والحضارة - الخرطوم - (33)
وحدة تنفيذ السدود - 2006 م - ص (8)
- (1) ديتشرش فلدونق وكارلاكروير -مشروع النقعة -ترجمة عبدالرحمن علي محمد رحمة - ألمانيا - شركة الثقافة والاتصالات الألمانية 2006 م - ص (8)
- (34) (35) I.y.zabaker Apedmak the lion good of meroe - in moroiticvol - 18- 1977-- p.p (3742-)
ديترش فلدونق وكارلاكروير - مرجع سابق - ص (18)
- (36) (37) I.y.zabaker - op.cit., p.43
أحمد محمد علي الحاكم - مجلة الدراسات السودانية - العدد الاول - 1973 م - ص (90)
- (38) (39) I.y.zabaker- op.cit., p.43
عبدالقادر محمود عبدالله - السودان منذ القدم - الجزء الاول - اللغة المروية - الرياض - جامعة الملك سعود - 1986 م - ص (59)

- (41) I.y.zabaker - op.cit.. p.44
- (42) Shinnie - opcit- p (144)
- (43) عمر حاج الزاکی- مرجع سابق - ص (32)
- (44) I.y.zabaker - op.cit.. p.45
- (45) عبدالقادر محمود عبدالله - اللغة المروية - الجزء الأول - مطبع جامعة الملك سعود- الرياض - (30-28) 1986 م